

روح المعاني

صلّى الله عليه وسلّم والمؤمنين يعمهون .

75 .

- عامهين مترددين في الضلال يقال عمه كمنع وفرح عمها وعموها وعموهة وعمها نا وقيل : هو ما هم فيه من شدة الخوف من القتل والسبي ومزيد الإضطراب من ذلك لما رأوا ما حل بمترفيهم يوم بدر وكشفه بأمر النبي A بالكف عن قتالهم وسبيهم بعد أو بنحو ذلك وهو وجه ليس بالبعيد وقيل : المراد بالضر عذاب الآخرة أي أنهم في الرداءة والتمرد إلى أنهم لو رحموا وكشف عنهم عذاب النار وردوا إلى الدنيا لعادوا لشدة لجأهم فيما هم عليه وفيه من البعد ما فيه .

واستظهر أبو حيان أن المراد به القحط والجوع الذي أصابهم بدعاء رسول الله A وذكر أنه مروي عن ابن عباس وابن جريج وقد دعا عليهم A بذلك في مكة يوم ألقى عليه المشركون وهو قائم يصلي عند البيت صلى جزور فقال : اللهم اشد وطأتك على مضر اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف ودعا بذلك أيضا بالمدينة فقد روي أنه E مكث شهرا إذا رفع رأسه من الركعة الثانية من صلاة الفجر بعد قوله سمع الله لمن حمده يقول : اللهم انج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن أبي ربيعة والمستضعفين من المؤمنين بمكة اللهم اشد وطأتك الخ وربما فعل ذلك بعد رفعه من الركعة الأخيرة من صلاة العشاء وكلتا الروايتين ذكرهما برهان الدين الحلبي في سيرته والكثير على أنه الجوع الذي أصابهم من منع ثمامة الميرة عنهم وذلك أن ثمامة بن أثان الحنفي جاءت به إلى المدينة سرية محمد بن مسلمة حين بعثها A إلى بني بكر ابن كلاب فأسلم بعد أن امتنع من الإسلام ثلاثة أيام ثم خرج معتمرا فلما قدم بطن مكة لبي وهو أول من دخلها ملبيا ومن هنا قال الحنفي : ومنا الذي لبي بمكة معلنا برغم أبي سفيان في الأشهر الحرم فأحدثه قريش فقالوا : لقد اجترأت علينا وقد صبت يا ثمامة قال : أسلمت واتبعت خير دين دين محمد A والله لا يصل إليكم حبة من اليمامة وكانت ريفا لأهل مكة حتى يأذن فيها رسول الله A ثم خرج ثمامة إلى اليمامة فمنعهم أن يحملوا إلى مكة شيئا حتى أضربهم الجوع وأكلت قريش العلهز فكتبت قريش إلى رسول الله A أأنت تزعم أنك بعثت رحمة للعالمين فقد قتلت الآباء بالسيف والأبناء بالجوع إنك تأمر بصلة الرحم وأنت قد قطعت أرحامنا فكتب رسول الله A إلى ثمامة رضي الله تعالى عنه خل بين قومي وبين ميرتهم ففعل وفي رواية أن أبا سفيان جاءه A فقال : أأنت الخ ووجه الجمع ظاهر وكان هذا قبل الفتح بقليل وعندي أن لو تبعد هذا القول كما لا يخفى نعم أخرج ابن جرير وجماعة عن ابن عباس ما

هو نص في أن قصة ثمامة سبب لنزول قوله تعالى : ولقد أخذناهم بالعذاب إلى آخره فيكون الجوع مراداً من العذاب المذكور فيه على ذلك ولا يرد على من قال به قوله تعالى : فما استكانوا فما خضعوا بذلك لربهم لأن له أن يقول : المراد بالخضوع له D الإنقياد لأمره سبحانه والإيمان به جل وعلا وما كان منهم مع رسول الله ﷺ ليس منه في شيء والمشهور أن المراد بالعذاب ما نالهم يوم بدر من القتل والأسر ولا يرد على من فسر العذاب في قوله سبحانه حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب به أيضاً لزوم المناقاة بين ما هناك من قوله تعالى إذا هم يجأرون وما هنا من نفي الإستكانة لربهم ونفي التضرع